Barghawata, a new vision of its history

Khedidja Chenaa [1]

[1]University Oran 1 Ahmed Ben Bella, "Laboratory of Maghreb studies, Building the National State and the elites" (Algeria),
khedidjachenaa@gmail.com

Received: 05/2023, Published: 05/2023

Summary:
The aim of historical studies is not only a contribution to the discovery of humanity's past, but rather an aid in identifying how a person can integrate his multiple past into his permanent present and move towards the future. Therefore, studying the thought of the Barghawata state is an attempt to understand ourselves, and perhaps the best of what has been said about The topic is what the historian Mark Block answered his son to the question: Father, to what does history serve? To answer him, let's understand.
Therefore, in order to understand it, it is necessary for us to reconsider its thought within the series of events that led to its establishment, as we do not deny that the Barghawata state and its controversial thought have been dealt with by several historians and thinkers from the historical and epistemological side, and most of them agreed that it lasted for a long time and it was able to include a large alliance of several Amazigh tribes, and this rarely happens in the history of the Amazigh community. Therefore, the reason for its establishment and its separation from the centralization of the Umayyad state is mainly due to the Caliphate's eagerness based on sanctifying the Arab element at the expense of the rest of the elements, and away from the interpretations of its deviation from the teachings of the Islamic religion, as it was considered a factor that confronts Arabization, not Islamization.
Keywords: Barghawata, Arabization, Islamization, Umayyad state, Amazigh.

برغواطة رؤية جديدة لتاريخها

شنعة خديجة [1]

[1] جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، "مخبر الدراسات المغاربية، النخب و بناء الدولة الوطنية" (الجزائر)، khedidjachenaa@gmail.com

الملخص:

ان الهدف من الدراسات التاريخية ليس فقط مساهمة في اكتشاف ماضي الإنسانية بل المساعدة علي التعرف علي كيفية التي يمكن بها للإنسان من دمج ماضيه المتعدد في حاضره الدائم و السير بذلك نحو المستقبل **و عليه فدراسة فكر دولة برغواطة هو محاولة فهم لذاتنا و لعل احسن ما قيل عن الموضوع ما أجاب به المؤرخ مارك بلوك ابنه عن سؤال لما يصلح التاريخ ابتاه؟ ليجيبه لنفهم**

وعليه لنفهم لزم علينا ان نعيد النظرة في فكرها ضمن سلسلة الاحداث التي أدت الي تأسيسها حيث انه لا ننكر ان دولة برغواطة وفكرها المثير للجدل قد تم تناوله من طرف عدة مؤرخين و مفكرين من جانب التأريخي و الأبستمولوجي و جلهم اتفقوا انها عمرت طويلا و قد استطعت ان تضم تحالف كبير لعدة قبائل امازيغية وهذا قلما يحدث في تاريخ المجتمع الامازيغي وعليه فان سبب تأسيسها وانفصالها عن مركزية الدولة الاموية يرجع أساسا الي عصبية الخلافة القائمة علي تقديس العنصر العربي علي حساب باقي العناصر و بعيدا عن تأويلات انحرافها عن تعاليم الدين الإسلامي فإنها اعتبرت عاملا تصدي للتعريب لا للأسملة.

الكلمات المفتاحية: برغواطة، التعريب، الأسلمة، الاموية، الامازيغ.

المقدمة:

منذ أن وطأ العرب أرض الأمازيغ وجدت تحولات جذرية في المجتمع وأُعتبر الفتح العربي الإسلامي نقطة تحول حيث أَوجد مجتمع أَسلم كله لكن لم يتعرب كله بل تعرب معظمه، **لقد** عرفت بلاد الامازيغ العديد من الحركات المناهضة للحكم العربي، وتطورت هذه الحركات لتكتسي صبغة دينية منحرفة بذلك عن الإسلام ومن اهم هذه الحركات ذات الصبغة الدينية التي تجاوزت في الكثير من الأحيان الدين الإسلامي: الديانة البرغواطية (ابتدعها صالح بن طريف)، وقراءة جديدة في فكرها بعيدا عن إشكالية صدها للتعريب.

1- **ظاهرة برغواطة**:

لن نخوض في ظاهرة برغواطة شرعياً، وإنما سوف نقوم بدراستها من ناحية تكون الفكر البرغواطي بصفته إيديولوجية جديدة تولدت عن طريق الاحتكاكات الثقافية مع الشرق، وفي نفس الوقت لعب دوراً عائقاً في وجه التعريب ويعتبر المجال البرغواطي **مجالاً أمازيغياً بامتياز**، وهذه الفكرة هي التي أجمع حولها الباحثون

حيث تشكل الدعوة البرغواطية، ودولتها حالة فريدة من نوعها، حيث اختلفت آراء الباحثين حول هويتها وعقيدتها، وكل هذه الآراء أخذت من مصدرين فقط، ابن حوقل[1] والبكري هؤلاء عايشا الفترة التي نود دراستها، ولكن المصدر الأكثر إقناعاً هو ابن حوقل، بحكم زيارته للإقليم[2]. وكذا إقامته قريباً منها، أي أنه تواجد في سجلماسة، أما البكري فلم يتواجد في الإقليم، بل تواجد في الأندلس، وأخذ معلومات من الروايات الشفوية المتداولة.

2- **التسمية**:

اختلف المؤرخون حول كل ما يخص دولة برغواطة، أصلها، ديانتها، مؤسسها بما فيها الاسم، فموضوعها كان محل نقاش بين المؤرخين سواء القدامى أو المعاصرين، وعليه أثيرت التساؤلات التالية:

- هل هم من قبيلة زناتة؟

-أم هم خليط من عناصر أمازيغية؟
-أم أنها تسمية لا تمثل قبيلة أمازيغية بعينها؟
المهم أننا مجبرون على الفصل بين الأصل الاجتماعي لبرغواطة كقبيلة أمازيغية، وبين أصل "بني طريف" حكامها الذين أسسوا الكيان السياسي، حيث أن ابن خلدون نفى كلياً أن برغواطة قبيلة من زناتة "**وقد يخلط بعض الناس في نسب برغواطة فيعيدهم في قبائل زناتة...وليس القوم من زناتة**"[3]، ولكن يرجعهم إلى مصامدة حيث يضيف "**ويشهد لذلك كله مواطنهم وجوارهم لإخوانهم المصامدة**"، لكن الناصري يخالفه الرأي، ويؤكد أن برغواطة لم تكن قبيلة واحدة وإنما أخلاط أمازيغية من عدة قبائل، "**برغواطة قبائل شتى ليس يجمعهم أب واحد وإنما هم أخلاط من البربر**"[4]، وبهذا فقد انقسم المؤرخون المعاصرون بين رأيان فتُرجح سحر السيد عبد العزيز سالم تصور أن برغواطة تنسب إلى مصمودة[5]، أما إبراهيم العبيدي. فيرجح رأي أن برغواطة تكتل لمجموع قبائل أمازيغية حيث يذكر "**ويرى البعض الآخر بأنه لم يكن اسما لقبيلة معينة يجمعها أصل واحد وأب واحد بل كان اسما لأخلاط من البربر اجتمعوا على شخص يهودي الأصل ادعى النبوة وهو صالح بن طريف بن شمعون البرباطي نسبة إلى الموطن الذي نشأ فيه وهو برباط بالقرب من شريش جنوب الأندلس**"[6] والأرجح في تصورنا أن برغواطة هي تكتل لمجموعة من القبائل الأمازيغية، تكتلت لتكون قوة في وجه استبداد بني أمية ولتقف عائقاً أمام حركة التعريب.

3- المواطن

نشأت دولة برغواطة في إقليم تامسنا[7]، أما دولتها فاتسعت وشملت موضع مدينة الرباط، ويذكر ابن حوقل أن "**مدينة الرباط كانت حدا فاصلا تنتهي عنده عمارة الإسلام**"[8]، حيث اعتبر أن دولة برغواطة تعتمد على الزندقة، وبالتالي هي ليست إسلامية، ويظهر لنا إقليم تامسنا متنوع التضاريس يجمع بين الجبال للحماية والسهول للزراعة، وهذا ما يفسر صمود البرغواطيين هذه المدة الطويلة رغم محاولات الإطاحة بهم، أي اعتمادهم على قدراتهم الاقتصادية، وكذا نجد في الإقليم أنهاراً عديدة تزيد عن مائة، وبهذا ساعدت السهول والوديان على جعل الإقليم زراعي بامتياز وعليه نستنتج بأن الظروف الجغرافية ساعدتهم على النحو التالي:

- الجبال: السلاسل الجبلية بالإقليم ساعدتهم على تحصين أنفسهم من الأخطار الخارجية من جهة، والمحيط الأطلسي من الجهة الأخرى جعلت الإقليم محصناً أكثر من كل خطر يحدق بهم.
- السهول: إن السهول الموجودة بينهما (الجبال والمحيط) منحت الإقليم الصفة الزراعية بامتياز، وعليه وفر لهم الاكتفاء الذاتي مما مكنهم من الصمود لأكثر من أربعة قرون رغم القوى المعارضة لهذه الدول على مدى هذه القرون[9].

ومنه ومما سبق ذكره إن برغواطة واجهت تحد هو الصمود أمام القوي التي أرادت النيل منها، ولهذا فإن ما يهمنا في هذا السياق هو من ساهم في دعم الكيان البرغواطي؟ لقد ارتبطت برغواطة بأحلاف مع مجموعة من القبائل الأمازيغية، تدين بنفس معتقد برغواطة أخرى حافظت على الاتجاه الصحيح للإسلام ويذكر البكري ذلك "**إن قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم جراوة، وزواغة، والبرانس، وبنو أبي ناصر، ومنجصة، وبنو أبي نوح، وبنو واغمر، ومطغرة، وبنو بورغ، وبنو دمر، ومطماطة وبنو وزكسينت**"[10]، ويضيف البكري حول القبائل الأمازيغية كونها حافظت على إسلامها الصحيح، فيذكر "**وممن يدين لهم من المسلمين ويضاف إلى ممتلكاتهم: زناتة الجبل، وبنو يليتونمالته، وبنو واوسينت وبنو يسكر، وأصادةوركانةوأيزمينا، ومنادةوماسينة، ورصانة وترارتة**"[11].

كما ارتبطت في كثير من الأحيان مع حلف مع غمارة المصمودية، وهذه الأخيرة أي أن حلف مصمودة كان يضم قبائل وفيرة العدد وهو من أهم أحلاف القبيلة في المغرب الأقصى[12].

وما نلاحظه أن دولة برغواطة ضمت حلفاً لا يُستهان به من أمازيغ المنطقة، وعليه فإن معظم الأمازيغ تحالفوا معها، وما يلفت الانتباه هو أن **المصادر ذكرت أن أمازيغاً صح إسلامهم**

تحالفوا معها بغض النظر أن إشكالية ديانة برغواطة وسؤال المطروح لماذا هذا التكتل الضخم ضمن إقليم برغواطة؟ ولماذا هذه القبائل التي حافظت على إسلامها الصحيح رضت أن تدخل في حلف مع دولة برغواطة ؟، وعليه فإنه من الواضح أن هذا التكتل ما هو إلا رد فعل إزاء التعريب الذي اجتاح المنطقة خاصة مع قيام مذاهب الخوارج، ولنفهم الظاهرة جيداً لزم العودة إلى قيام دولة برغواطة.

4- قيام دولة برغواطة:

لزم ان نتتبع الأحداث السياسية لثورة الأمازيغ ضد سلطة بني أمية، لمعرفة سياق دولة برغواطة في خضم هذه التطورات السياسية.

عين الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب عاملاً من قبله على المغرب، وقد أسند ابن الحبحاب ولاية السوس وتامسنا إلى ابنه إسماعيل، أما طنجة وما يليها من المغرب الأقصى فقد أسندها إلى عمر بن عبد الله المرادي، هذا الأخير عرف عنه تعصبه للعرب على حساب الأمازيغ، وهنا ثار الأمازيغ عليه، فأرسل ابن الحبحاب إليه سنة 116هـ جيشاً ونجح الجيش العربي في إخماد ثورة الأمازيغ، ومن هذا المنطلق وجد في بلاد الأمازيغ أرضية خصبة لفكر مذهب الخوارج، (الإباضي المعتدل في مغرب الوسط، المتطرف في القسم الجنوبي للمغرب الأقصى)، و لقد تبنت شخصية أمازيغية مذهب الخوارج من قبيلة مطغرة هو مسيرة المطغري، و حاول ملاقاة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بغرض الشكوى من استبداد عماله ببلاد المغرب (الأمازيغ)، لكن لزم ذكر أن الأبرشي الكلبي حاجب الخليفة لم يأذن لهم بملاقاة الخليفة[13]، فعادوا إلى بلادهم وقرروا شق عصا الطاعة عن الدولة الأموية، وبالتالي وجد أن السبيل الوحيد للخروج من ظلم ولاة وعمال بني أمية هو ثورة ضد الحكم الأموي، واستقلال بلاد الأمازيغ سياسيا ، وهذا بعد ما لقيه ميسرة من تعال وتعصب عند محاولة ملاقاة الخليفة الأموي، وعليه خرج مسيرة المطغري من اعتداله وتحول إلى مذهب خوارج الصفرية[14]، وهنا تزعم جموع الأمازيغ ضد الحكم العربي وانضم إليه أمازيغ برغواطة بزعامة طريف وولده صالح[15]، وهنا تستوقفنا **ظاهرة توحد الأمازيغ ضد العدو المشترك وهي علامة قلما حدثت في تاريخ الأمازيغ لكن واضح أن استبداد عمال الدولة الأموية في بلاد الأمازيغ زاد كل الحدود،** ولهذا انتشرت الثورة في كل أرجاء الإقليم الغربي لبلاد الأمازيغ، فتوسعت في طنجة وقتل عاملها عمر بن عبد الله المرادي، ثم سار ميسرة إلى السوس في حشود ضخمة من برغواطة وغيرها من قبائل الأمازيغ وهزم قوات إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، وقتله ثم جاءت معركة الأشراف التي هزم فيها العرب، وقد قتل ميسرة من قبل الأمازيغ ويرجع سبب قتل ميسرة إلى أنه كان يسعى إلى طلب السلم حقناً للدماء، هذا الأمر لم يوافق عليه الأمازيغ فأقدموا على قتله ونصبوا مكانه خالد بن حميد الزناتي سنة 122هـ، وهنا يظهر دور طريف في تأسيس كيان برغواطة، حيث أنه كان صاحب وحليف ميسرة المطغري فأبدى استياءه لمقتل صاحبه وانقلاب أتباعه عليه فاعتزل الثورة وتراجع إلى إقليم تامسنا ليؤسس دولة مستقلة في هذا الإقليم من المغرب الأقصى، وهنا نصل إلى نقطة بداية دولة برغواطة ككيان سياسي مستقل له حكام ارتقوا إلى مصاف الملوك أولهم طريف، ويذكر ابن خلدون[16] أن طريف بن شمعون أبو صالح انسحب إلى تامسنا عقب مقتل ميسرة سنة 122هـ، حيث كانت قبائل الأمازيغ تعاني من الجهل الشديد، أي أسلمة سطحية، فقام فيهم ودعا نفسه ملكاً، فبايعه الأمازيغ وهنا أسس الدولة وأصبح يشرع لهم الشرائع، ويذكر أن الاختلاف في دولة برغواطة أثار جدلاً في كل النواحي، وقد طالت حتى مؤسسيها، سواء كان طريف أم ابنه صالح، ومهما يكن فإننا نجد أنفسنا أمام إشكالية ديانة دولة برغواطة التي تعتبر انعكاس لعوائق التعريب، وهذا ما سنفصل فيه في العنصر الموالي.

5- إشكالية ديانة برغواطة:

لقد ناقش إشكالية ديانة برغواطة عدة مؤرخين قدامى ومعاصرين، واثير حولها جدل كبير وعليه فإن إشكالية انحراف البرغواطيين عن تعاليم الإسلام الصحيحة يرجعها البعض إلى ان الأمازيغ أنفسهم في تلك الفترة كانوا حديثي العهد بالإسلام.

ونحن بصدد مناقشة **انعكاس عوائق التعريب** وأول ما يثير اهتمامنا هو:

1- أسباب ثورة ميسرة المطغري وحليفه طريف أسباب متصلة أساسا بكرامة الأمازيغ ومحاولة إذلالهم وسياسة التمييزالعنصري والاستغلال التي عرفتها المنطقة منذ تعيين عبد الله بن الحبحاب على القيروان وعمر بن عبد الله المرادي على طنجة. و السبب النيل من كرامتهم، أي أن كرامتهم خط أحمر لا يجوز تجاوزه، وقد برهن على ذلك الأمازيغ خلال تاريخهم الطويل مع الوافد الأجنبي.

2- إن ثورة الأمازيغ لم تكن إلا نتيجة منطقية للظلم الذي تعرضوا له، وهي نزعة وطنية قومية شملت كل أمازيغ تلك المنطقة بتبنيهم مذهب الخوارج في شقه الصفري.

3- التحالف الضخم الذي بدأت منه ثورة ميسرة ثم تأسيس دولة برغواطة، واستطاعت هذه الأخيرة ضمت قبائل أمازيغية تحت لواءها، وكذا ضمان تحالف لقبائل أخرى، كان نتيجة رد فعل سلبي إزاء العرب وليس الإسلام، وخدم بذلك هذا التحالف النزعة القومية الأمازيغية[17].

4- وجود إشكالية في الديانة نفسها حيث يذكر بوعرفة[18]**"والديانة المزعومة تقوم على نقيض أركان الإسلام، وفي الكثير من الأحيان هي محاكاة له".**

ولكي لا نبتعد عن موضوع مقالنا **برغواطة قراءة جديدة في إشكالية صدها للتعريب** ، لزم منا معرفة سبب نشوء هذا الفكر أو الدين أو المذهب، حيث يذكر محمد الطالبي **"لقد كان الدين الجديد ثمرة مثاقفة في خدمة الكبرياء الوطني الجريح"**[19]، وقد حلل ظاهرة برغواطة بحكم أنها رد فعل عن العصبية العربية[20]، وبالتالي رد فعل سلبي إزاء التعريب فذكر أنه **"اعتقد البرابرة المهانون أن بإمكانهم الحصول على هويتهم من المذهب الخارجي الصفري والعثور على ترياق لألآمهم"**، وعليه يجب أن نستعرض الملوك الأوائل لدولة برغواطة لمعرفة كيف تطور فكرهم أو بالأحرى كيف وجد هذا الانحراف عن تعاليم الدين الإسلامي:

- **طريف بن شمعون بن اسحق بن يعقوب**: يعتبر مؤسس دولة برغواطة أثيرت عدة فرضيات حول أصله حيث أن هناك فريق من المؤرخين يرون أن أصل طريف عربي وهم سعد زغلول وحسين مؤنس وأحمد العبادي واسمه طريف بن مالك أو ملوك. أما فريق آخر فيذكر أن أصله يهودي واسمه طريف بن شمعون بن اسحق بن يعقوب، وأنه اعتنق الإسلام، ومن أنصار هذا الرأي محمد عبد الله عنان وحمدي عبد المنعم حسين، أما من الذين يذكرون أنه أمازيغي الأصل فهو محمد إسماعيل[21].
- **صالح بن طريف**: حارب وهو طفل رفقة والده طريف لنصرة المذهب الصفري بغرض تحرير الأمازيغ من استبداد عمال وولاة الدولة الأموية خلف والده في حكم دولة برغواطة[22]، وهناك تضارب في الآراء حول من ادعى النبوة، هو أم والده أم ولده، فلم تذكر المصادر باستثناء ابن خلدون أنه هو من ادعى النبوة[23]، وأيضا ينفرد ابن حوقل أن صالح ليس ابن طريف وإنما ابن عبد الله، دخل العراق وارتحل إلى بلاد الأمازيغ[24]، فيذكر ابن حوقل **"وبسلا رباط يرابط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة، وقد خرجت والناس يسكنون ويرابطون برباطات تحف بها وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون في وقت وينقصون لوقت ورباطهم على برغواطة قبيلة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي سُقْتُ عمارة بلاد الإسلام. ذلك أن رجلاً كان يعرف بصالح بن عبد الله دخل العراق...فنزل بينهم وكان بربري الأصل مغربي المولد مضطلعا بلغة البربر يفهم غير لسان من ألسنتهم ودعاهم إلى الإيمان به، وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم واحتج بقول الله تعالى وما**

أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه "سورة البقرة، الآية 14، وأن محمداً ﷺ نبي حق عربيّ اللسان مبعوث إلى قومه وإلى العرب، خاصة وأنه صادق فيما أتى به من القرآن والأحكام"[25]، ومهما يكن فإن الذي خلفه ابنه إلياس.

- **إلياس بن صالح البرغواطي**: خلف إلياس والده صالح بن طريف بن شمعون في حكم دولة برغواطة[26]، في عهده دخل ضمن سلطته عدد كبير من قبيلة زناتة زاد حكمه عن خمسين سنة وتوفي سنة 173هـ أو 176هـ[27].
- **يونس بن إلياس البرغواطي**: أدى فريضة الحج وبذلك يكون أول ملوك برغواطة يؤدي الفريضة، ويذكر ابن عذارى، **"فولي ابنه يونس بن إلياس وذلك بعدما وصل من المشرق، حج ولم يحج أحد من أهل بيته، فأظهر ديانة جده ودعا إليها "**[28]بمعنى هو من جرَّ دولة برغواطة نحو فكرها المشبوه الذي اتهمت به من طرف عدة مؤرخين، بحكم أنه شرع شرائع خارجة عن الإسلام برغواطة وقد اتسم عهده بالاستبداد وقتل كل من لا يؤمن بمعتقداته[29].

ولكي لا نخرج عن موضوع مقالنا ، لزم الرجوع إلى أسباب وجود هذا الفكر الجديد المحاكي للدين الإسلامي، لكن ليس الإسلام الصحيح لدولة برغواطة، حسب توجهات المفكرين فهي مثاقفة **"استرداد شخصيتهم وإثباتها في مواجهة سيطرة الآخر –يقصد بها العرب والتعريب- الروحية المستَلِبَة"**[30] وقد أعطى محمد الطالبي مقارنة بين الشعوبية الفارسية ونزعة الوطنية الأمازيغية فذكر **"أن القبائل البربرية المدعوة للحصول على هويتها في المذهب البرغواطي شهدت تحولاً عنيفاً، فعندما لم تخلص نهائيا للإسلام إلى حدود الاستشهاد، تشربته بكيفية عميقة كي لا تستطيع بعد ذلك التحرر منه إلا بإعطائه نظيراً في شكل لِئم –يقصد به مثيل وشبيه وقرين- مصمم ومؤلف في البلد، وبذلك اختلفت النزعة الوطنية البربرية اختلافا جذرياً عن الشعوبية الفارسية، فعوض رفض المثاقفة باسم القيم السلفية للحضارة انطوت عليها بالأحرى وأدمجتها ثم استخدمتها مثل مِقْفَزْ"**[31].

ومن خلال تحليل محمد طالبي نلاحظ أن الديانة البرغواطية هي رد فعل إزاء السياسة الاستبدادية للعرب، مثلها مثل الشعوبية الفارسية، لكن اختلفت عندما اتخذت بديلاً للإسلام، فقد أقامت محاكاة له باتخاذ شرائع أخرى لا تمت لدين الإسلامي بأي صلة، أي بعبارة أخرى انحراف عن شعائر الإسلام حيث وجدت حسب رأينا ثلاث مراحل مرحلة الاندماج، مرحلة استخدام (الوسيلة)، مرحلة القفز بمعنى التجاوز.

1) **مرحلة الاندماج**:

هي مرحلة وجدت قبل ثورة ميسرة فقد تقبل الأمازيغ الإسلام والعروبة، وبالتالي مشروعية السلطة العربية الإسلامية المتمثلة في دولة الأموية أي الولاء للسلطة المركزية في دمشق .

2) **مرحلة الاستخدام (الوسيلة)**:

وهي الانشقاق عن العروبة والتمسك بالإسلام مع استخدام وسائل تتيح له ذلك وقد وجدت أي الاحتفاظ بالمرجعية الدينية (الإسلام في شقه الصفري). ونبذ السلطة السياسية (الدولة الأموية) أي تحرر من سلطة السياسية للدولة المركزيةوهذا بالقيام بثورة ضد حكم المركزية في المشرق.

3) **أما مرحلة التجاوز**:

هي ظهور الدولة البرغواطية بمذهبها وفكرها المثير للجدل أي تجاوز الإسلام بعدما تجاوزت العروبة عند تبنيها في الثورة المذهب الصفري، ومنه لزم تلخيص المبادئ التي **تجاوزت** فيها الإسلام وبالتالي أقامت انحرافات خطيرة في العقيدة نستعرض أهمها:

أ- في مجال النبوة:

الفكر البرغواطي لم ينكر نبوة سيدنا محمد صل الله عليه و سلم ولكن أقام تأويلاً يخرج النصوص القرآنية عن معناها، وقفز بذلك إلى الكفر أو الزندقة[32] وعليه فان التجاوز تمثل بأن ذكر أن سيدنا محمد صل الله عليه و سلم أرسل إلى العرب وأوجد الدليل في القرآن من سورة

إبراهيم، الآية: 04 (**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قومه لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٤))** ومنه وحسب مفهومهم يترتب عليه أن نبي الأمازيغ يجب أن يكون منهم، ولا يتكلم إلا بلسانهم، وهذا تجاوز لتعاليم الإسلام التي تقضي أن سيدنا محمد صل الله عليه و سلم هو خاتم الأنبياء وبهذا تعتبر رد سلبي إزاء العربية بلغتها وعصبتيها في ظل الدولة الأموية.

وعليه فقد أقروا بنبوة سيدنا محمد صل الله عليه وسلم إلا أنهم أقروا أنه للعرب فقط[33]ولا يعتبر خاتم الأنبياء وهذا تجاوز خطير في تعاليم الإسلام وانكار للركن الأول من الإسلام وهو الشهادتين ان لا إله الا الله وان محدد رسول الله وخاتم الأنبياء وعليه من يكون نبي الأمازيغ حسب تصورهم؟ هنا أوجدوا أن صالح بن طريف هو نبي الأمازيغ والدليل أوجدوه أيضاً في القرآن الكريم من سورة التحريم، الآية: 04(***إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤)***)[34].

وأصبحت عبارة صالح المؤمنين مقدسة لدى البرغواطيين. ويذكر محمد الطالبي أن خطوة دولة برغواطة لم تكن إلا خطوة جريئة، وبالتالي لم تكن تحرر كليا من الإسلام[35]، وإنما تجاوز له بحكم ان قاعدة ديانتهم مأخوذة من القرآن، مع تحريفات واضحة حسب ما تمليه عليهم أفكارهم للتحرر كليتا من العربية والعرب، وبذلك التحرر من عصبية العرب.

ويستخلص مما سبق أن التجاوز في الفكر البرغواطي يعني التحرر من السلطة العربية، وبالتالي التحرر من التعريب وتمثل في مجال النبوة بادعاء صالح لها بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ حيث نبوة صالح حسب زعمهم تكملة لنبوه سيدنا محمد ﷺ وسيدنا عيسى عليه السلام، وأنه يحمل اللسان الأمازيغي اسم **وارإياوارا** (ومعناه الذي (ومعناه الذي ليس بعده أحد)**[36]**.

ب- **في مجال الكتب المقدسة** (قرآن دولة برغواطة):

لقد نبذت دولة برغواطة كل ما هو عربي بما فيهم القرآن الذي هو باللغة العربية، وقد أوجد صالح قرآناً باللسان الأمازيغي يشمل ثمانين سورة[37]، وقد اقتضى أن يصاغ ضمن لهجة مشتركة بين مختلف القبائل الأمازيغية المجتمعة في إقليم تامسنا، ويذكر محمد طالبي **"والواقع أن القرآن المنسوب إلى صالح شكل منظور البرغواطيين وأثر مقدس وموضوع احترام ودراسة يحفظونه عن ظهر قلب ويرتلونه في صلواتهم"[38]**، ويرى كثير من مفكرين أن القرآن الأمازيغي هو انحراف عن الديانة الإسلامية إلا أن سعد زغلول يذكر **"ويروي الكتاب أخبارا غريبة من انحراف أبناء صالح بن طريف وقومهم برغواطة من التنبي وتحريف أصول الإسلام وابتكار لآيات من القرآن، ونعتقد أن في ذلك كثير من المبالغة من الكتاب الذين يخدمون أغراضا مذهبية وسياسية معادية لبني طريف... ونعتقد أن الأصل فيما نسب إليهم من التحريف هو أنهم كانوا يؤدون شعائر الدين بالبربرية، كما أنهم ترجموا القرآن إلى لغتهم، من هذا ما يقال من أنهم كانوا يقولون – مقر باكش- وتفسيره الله الكبير أي الله أكبر كما كانوا يقولون -إيسنياكش- وتعني بسم الله وإيحنياكش وتفسيره الواحد الله و-ووداماياكش- معناه لا أحد مثل الله ونظن أنها ترجمة لآية الإخلاص"[39]**.

ومن خلال ما تقدم فإذا فرضنا أن القرآن البرغواطي ما هو إلا ترجمة عن القرآن الكريم، وبالتالي نعلم حالياً أن ترجمة القرآن الكريم بعدة لغات متاحة[40].

ما نلاحظه سواء أكان قرآن برغواطة ترجمة [41]أو تحريفاً فإنه مع ذلك لم تتم استعارة اسم الله الواحد من العرب وإنما من التراث الأمازيغي أي التوحيد بروحه الأمازيغية، أي نبذ كل مصطلح أتى من العرب والاستعانة بالتراث الأمازيغي القديم في مصطلحه **يَاكش**[42]والذي يذكر أن ياكش مشتقة من باكوس (Bacchus) والذي يتجلى معناها إله الخير، وكذا يذكر معناه المعطى أو العاطي أو الوهاب[43]، **ومهما يكن فإن الدولة البرغواطية بفكرها لم تكن إلا تعبير عن نزعة وطنية[44] أمازيغية بغض النظر عن معتقدها الذي كان حقيقة ينبذ كل ما هو عربي, عربية و تعريب.**

الخاتمة:

ان ظاهرة نشوء واستمرار دولة برغواطة لقرون وإشكالية فكرها تعد من المواضيع الأكثر جدلا بين المفكرين والمؤرخين وقد اوجدت مد وجزرا بينهم.

وما تطرقنا اليه في مقالنا هو ألية دولة برغواطة وسبب تأسيسها ونجاحها في لَّم شمل قبائل الامازيغ، حيث انه من نادر عبر صيرورة تاريخهم انهم توحدوا تحت راية واحدة بفعل صراع البتر والبرانس الذي يدخل ضمن صراع المعاش الاقتصادي، او حتى الصراع من اجل نفوذ السياسي والسلطوي ومهما يكن وبعيدا ان أسباب الصراع قان قبائل الامازيغ طيلة تاريخهم الذي يمتد لغاية التاريخ القديم فقلما توحدوا، وعليه فدولة برغواطة تعد من المرات القلائل التي شهدت وحدة قبائل الامازيغ ، و بعيدا ان الجدل القائم علي صحة ديانة دولة برغواطة فان نشوء الدولة و فكرها يُعد سببه الأساسي هو صدها لعصبية الدولة الاموية المتمثلة في العصبية العربية التي أوجدتها السلطة الحاكمة في فترة الدولة الاموية و مع تطور الية الاستبداد وجدت برغواطة التي تجاوزت التعريب و ذهبت ابعد من ذلك اذن تجاوزت الإسلام في حذ ذاته بنبذ كل ما يتصل بالعصبية العربية و هذا انحراف خطير عن الإسلام لكن ليس انحرافا من اجل الانحراف و كفي و انما صد للتعريب وولاة الجور للدولة الاموية .

وعليه فلزم تحديد قراءة جديدة لسبب نشأة دولة برغواطة و تحديد أسباب طول فترتها و كذا نجاحها في لَّم شمل قبائل الامازيغ بعيدا عن السرد الكنولولوجي للظاهرة.

الهوامش:

1- ابن حوقل، محمد بن على أبو قاسم، كتاب صورة الأرض، ج1، دار صابر للطباعة والنشر. ص: 82-83.

2-من الإنصاف أن نذكر أن ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، قد زار إقليم تامسنا وعايش البرغواطيين وبالتالي اعترف أنهم يدينون بالدين الإسلامي، ص: 83، وهذا ما سنناقشه في عنصر إشكالية ديانة برغواطة.

3-ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى العبر مراجعة سهيل زكار ووضع الحواشي خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ج6، 2001.ص: 434، 435.

4- الناصري، أحمد بن خالد أبو العباس، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج4، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، الطبعة 1، 1997، ص: 16.

5-سحر السيد عبد العزيز، بحوث مشرقية ومغربية في تاريخ الحضارة الإسلامية، ج1، مؤسسة الشباب الجامعي الإسكندرية، مصر 1997م، ص : 536.

6-إبراهيم خلف العبيدي، البرغواطيون في المغرب (127هـ /542هـ)، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م، ص: 45.

7-هي أرض تبدأ من موضع مدينة الرباط حالياً، وتمتد إلى تفر فضالة (المحمدية حالياً) التي كانت قاعدة لأسطولها عند أزمور على مصب وادي أم الربيع، وتامسنا كلمة أمازيغية ومعناها البسيط الخالي،

وقد أطلقت على المنطقة الممتدة من الرباط إلى الدار البيضاء، وفي أغلب الروايات من سلا إلى أم الربيع وكانت في الأصل مواطنا لزناتة وزواغة. راجع إبراهيم العبيدي، ص: 80.

8- ابن حوقل، نفس المصدر السابق، ص56.

9- إبراهيم خلف العبيدي، نفس المرجع السابق، ص: 49.

10-البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والمماليك) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر. المغرب، ص: 141.

11- نفسه، ص: 141.

12- سحر السيد عبد العزيز،نفس المرجع السابق، ص: 542.

13- البكري، المغرب، ص 132

14-الصفرية : أصحاب زياد بن الأصفر هم الأكثر اعتدالاً من الأزارقة، وأكثر تطرفاً من الإباضية، حيث أنها أكثر الفرق تشدداً، وتزعم أن صاحب كل ذنب مشرك يجوز قتله بالفكر التكفيري راجع الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح، الملل والنحل تحقيق أمير على مهني، على حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، الجزء الأول، 1993، ص: 160.وبالتالي، فالشرك شركان شرك بطاعة الشيطان وشرك بعبادة الأوثان، والكفر كفران كفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة، وبراءة من أهل الجحود فريضة. الشهرستاني، الملل والنحل، ص: 160. اما الإباضية فهم أصحاب عبد الله بن إباض من قبيلة بني تميم قتل بأمر من مروان بن محمد (الخليفة الأموي) في تبالة (اليمن) وهم أكثر اعتدالاً، يخالفون الصفرية في : "أن مرتكبي الكبائر هم موحدون لا مؤمنون". وبالتالي، لا يكفرونهم وقد انقسمت الإباضية نفسها إلى الحفصية (أصحاب حفص بن أبي المقدام) والحارثية (أصحاب حارث الإباضي) واليزيدية (أصحاب يزيد بن أنيس). نفسه، ص:156-158.

15-البكري، المغرب، ص135. ابن عذارى، البيان، ج1، ص: 52.

16-ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 428.

17-محمد الطالبي، البربر البرغواطيون البدعة والمثاقفة والنزعة الوطنية، ترجمة عبد الجليل الأزدى، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999م، ص: 13.

18-عبد القادر بوعرفة، معجم الفرق والنحل في الجزائر، السلسلة الفلسفية، منشورات مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية في الجزائر، الطبعة الأولى، 2005.ص : 38.

19-محمد الطالبي، نفس المرجع، ص: 20.

20-هناك عدة امثلة حول إهانة الأمازيغ من طرف العرب فناهيك عما ذكر سابقاً حول أخذ الجزية ووشمهم من طرف الولاة فقد تعرض الأمازيغ أيضاً إلى الإهانة في المشرق فيذكر محمد الطالبي، البربر البرغواطيون البدعة والمثاقفة والنزعة الوطنية ص : 22 "**إذ نعرف أن القادم من المغرب.. يكون عرضة**

لبعض الحوادث المزعجة فمثلا زفير بن الهذيل تعرض للاحتقار بسبب سحنته المغربية وهو يناقش الفقه في حضرة أبي حنيفة".

21- سحر السيد عبد العزيز سالم، نفس الرجع السابق، ص: 15.

22-محمد الطالبي، نفس المرجع السابق، ص: 20.

23-ابن خلدون العبر، ج6، 430

24-ابن حوقل، صورة الأرض، ص: 81-82. تذكر سحرعبد العزيز سالم، ص17" أنه لا يجب الأخذ برأي ابن حوقل وأنه غير دقيق فيما أورد عن نسب صالح بن طريف، وهذا بحكم أن ابن حوقل جغرافي قبل أن يكون مؤرخاً ثم أنه مشرقي وليس مغربيا."

25- ابن حوقل، ص: 81-82.

26- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 429. "يذكر أن بداية حكمه 127هـ.

27- نفسه، ص: 429

28- ابن عذارى، البيان، ص: 224.

29- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 430.

30- لمزيد من المعلومات، راجع عبد القادر بوعرفة، معجم الفرق والنحل في الجزائر، ص: 37، 41.

31- محمد الطالبي، ص: 21.

32-راجع سلمى محمود اسماعيل، الصراع الأنثى والمذهبي في المغرب الأقصى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م، إشكالية مذهب برغواطة، ص: 121-127.

33-محمد الطالبي، ص: 20.

34- سورة التحريم، الآية 04، راجع شيخ حسين محمد مخلوف زيادة، تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم، أسباب النزول، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق طبعة خامسة 1998م، أسباب النزول للنيسابوري. سورة التحريم ص: 398." **ملخص الآية حول خلاف بين النبي وزوجاته أمهات المؤمنين وصالح مؤمنين تعني كل فرد صالح مؤمن»**

35- محمد الطالبي، ص: 20.

36- نفسه، ص: 25.

37- ابن خلدون، العبر، ج6، ص: 429.

38- محمد الطالبي، ص: 26.

39-سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام دولة الفاطميين الناشر منشأة الإسكندرية، مصر، 1990.هامش ص: 433.

40- لمزيد من المعلومات حول فتوى ترجمة القرآن، راجع محمد محمود كانو، كتاب ترجمة القرآن الكريم بين الحظر والإباحة، جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الأولى، 2011م.

41- لمزيد من المعلومات حول ترجمة القرآن تحديدا الأمازيغية راجع كهينة زموش، مقالة نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية "جهود الشيخ بوستة أنموذجا" القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ملتقى الأمازيغ، 2010م. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف 2011م، الجزائر، ص: 33-54. "...والآن وقد رأينا أن ترجمة معاني القرآن أمر جائز، بل واجب يفرضه الواقع ويلزمنا به الدين الإسلامي الذي أتى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة"، ص: 41. ونضيف أن أول ترجمة القرآن الكريم إلى الأمازيغية هي من طرف المغربي الحسين البوعمراني إلى اللهجة السوسية، وصدرت الترجمة في 426 صفحة من الحجم الكبير، عام 2004.

42- يتعلق الأمر بالروحانية (**Anemisme**)، أي بكلمة مستعارة من تاريخ الأمازيغ القديم، فالمعتقد الأمازيغي في التاريخ القديم الطوطمية أو عبادة الحيوانات و، وبالتالي نستخلص أن الفكر الديني له أهميته لدى الأمازيغ منذ القدم حيث كانت البيئة الأمازيغية كان لها تراث ضخم من المعتقدات التي واصلت مسيرتها حتى مع اعتناقهم الإسلام.

43- سعد زغلول، نفس المرجع ج2، هامش ص: 433.

44- محمد الطالبي، نفس المرجع، ص: 27.